الإرادة في سورة الناس

Intentionality in Surat An-Nas

د. وسام جميل الحسن
جامعة ذي قار/ كلية العلوم الإسلامية

Mr. Wisam Jameel Al Hassan
University of Thi Qar / College of Islamic Sciences
Wisam.jamil.islqu@utq.edu.iq

الملخص:

يمثل القرآن الكريم المعجزة التي أعجزت العرب على الرغم من الألسنة والفصاحة التي عرفوا بها، ومن مظاهر إعجازه اللغوي الإرادة في إيصال المعاني والحقائق التي تحاكي حياة الناس بطرق تدعوهم إلى توحيد الله تعالى والاستعانة به، ويعنى هذا البحث بتسليط الضوء على مبدأ الإرادة في النص المقدس، وذلك من أجل الوقوف على الإرادة أو القصد من هذا النص أو ما يقارب ذلك المراد، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن البحث في النص المقدس يستدعي محاكاة الذات المنتجة للنص، فضلاً عن مراعاة التراتبية وصولاً إلى المراد من هذا النص على نحو المقاربة، كما أن البحث في هذه النصوص لا يعني الجزم بحتمية المراد على نحو الشمول، ولكن يمكن القبول بنسبة معينة ممكن أن تسهم في إثبات حركية هذا النص ومسايرته لعنصر الزمان، فضلاً عن ذلك فإن البحث في أي نص يتطلب التعرف على سياق ذلك النص أو مناسبة حدوثه، وكل ما من شأنه رفد النص بما يسهم في الكشف عن مقاصده واستجلاءها.

الكلمات المفاتيح: الإرادة ، سورة الناس ، النص المقدس ، الاستعاذة .

Abstract

The Holy Quran represents the miracle that baffled the Arabs despite their well-known tongues and eloquence. One of the manifestations of its linguistic miracle is the will to convey meanings and truths that reflect people's lives in ways that call them to the Oneness of God Almighty and to seek His help. This research aims to shed light on the principle of will in the sacred text. This is in order to understand the will or intent of this text or something close to what is intended, taking into consideration that research into the sacred text requires imitating the self that produced the text, in addition to taking into consideration the hierarchy in order to arrive at what is intended by this text in a way that is close. Researching these texts does not mean that the intended meaning is absolutely certain, but it is possible to accept a certain percentage that may contribute to proving the dynamism of this text and its keeping pace with the element of time. In addition to that, researching any text requires identifying the context of that text or the occasion of its occurrence, and everything that would support the text with what contributes to revealing and clarifying its intentions.

المقدمة :

إنَّ اختيار اللغة العربية من قبل الله تعالى لغة رسالية لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ص) لم يكن أمراً عبثياً بعيداً عن التخطيط الإلهي، ومما لا شكّ فيه أن لهذا الاختيار من الأبعاد ما قد نجهل بعضه لكنه في علمه تعالى، فهي من اللغات البشرية العالمية ذات النظام الدقيق والدلالة المميزة، وعلى هذا الأساس فالقرآن الكريم ليس قرآناً خاصاً بالعرب وحدهم، بل إن قراءته والتدبر فيه مسؤولية تقع على عاتق كل من يسلك طريق رسوله المصطفى (ص)، ولغة القرآن العربية عبارة عن نظام دقيق من الرموز التي تقوم على العلاقةِ بين اللفظِ ومعناه ضمن سياق تواصلي اجتماعي، فلا مجال لهذه اللغة خارج اطار الحدث الكلامي، فهي تعنى بإرادة المتكلمين لمقاصدهم، فالعملية التخاطبية تبدأ من المتكلم مريداً لمقاصده لتحقيق الفائدة من كلامه بقصد التبليغ والتأثير في المتلقي، وليس للكلام معنى إن لم يكن المخاطَب مستوعباً لإرادة المتكلم ومقاصده التي ينطوي عليها كلامه، ويراعى في ذلك الظروف المحيطة بالنص مع توفر القرائن التي تعين على فهمه، والنص المقدس يقع ضمن دائرة هذه الجدلية بين المتكلم والمتلقي، فالمتكلم يسعى في قوله بإرادة مقاصده من أجل تحقيق المنفعة والإفادة، وعلى المخاطب أن يتلقى ذلك القول ويعمل على استجلاءه.

ويعنى هذا البحث بتسليط الضوء على مبدأ الإرادة في النص المقدس، وذلك من

أجل الوقوف على الإرادة أو القصد من هذا النص أو ما يقارب ذلك المراد، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن البحث في النص المقدس يستدعي محاكاة الذات المنتجة للنص، فضلاً عن مراعاة التراتبية وصولاً إلى المراد من هذا النص على نحو المقاربة، كما أن البحث في هذه النصوص لا يعني الجزم بحتمية المراد على نحو الشمول، ولكن يمكن القبول بنسبة معينة ممكن أن تسهم في إثبات حركية هذا النص ومسايرته لعنصر الزمان، فضلاً عن ذلك فإن البحث في أي نص يتطلب التعرف على سياق ذلك النص أو مناسبة حدوثه، وكل ما من شأنه رفد النص بما يسهم في الكشف عن مقاصده واستجلاءها.

المبحث الأول:

مفهوم الإرادة اللغوي والاصطلاحي والفلسفي والأصولي:

في اللغة والاصطلاح:

لقد ذكر بعضهم أن أصل الألف في لفظ (الإرادة) هو الواو، والحجة في ذلك أنك تقول: راودته على أن يفعل كذا، إذا أردته على فعله[1]، و»الإرادةُ: المشيئةُ، وأصلها الواو، لقولك: راوَدَه، إلا أن الواو سُكِّنت فنُقِلت حركتها إلى ما قبلها، فانقلبت في الماضي ألفاً وفي المستقبل ياءً، وسقطت في المصدر، لمجاورتها الألف الساكنة، وعوِّض منها الهاء آخره»[2]، والإرادة مصدر من الفعل (أرادَ)، وهي بمعنى القصد، و «أراد الشيء: شاءَهُ ... والإرادة تكون محبَّة وغير محبَّة ... وأرى سيبويه قد حكى إرادتي بهذا لك، أي قصدي بهذا لك ... وأردته بكل ريدةٍ، أي بكل نوع من أنواع الإرادة»[3]، وبهذا يكون معنى الإرادة هو المشيئة والقصد الذي يريده المتكلم.

أما من الناحية الاصلاحية فإن مفهوم الإرادة لا يختلف عنه في المعنى اللغوي إذ يراد به القصد، فمفهوم الإرادة يرتبط بالقصد، والقصد يدل على الإرادة، والمراد به قصد الفعل وميل النفس إليه، وقد يراد به مجرد القصد عرفاً، ومنه إرادة المعنى من اللفظ[4]، فإرادة المتكلم وقصده تتمثل بإيصال رسالته الإبلاغية إلى مخاطبه على الوجه الذي يريده، وبذلك تحصل الفائدة لدى المخاطب من الخطاب، وهي الثمرة التي يجنيها المخاطب من العملية التخاطبية بإرادة من المتكلم[5]، فتكون «بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل نفسه، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط، وذلك مثل الأفعال المتعلقة بالصداق، فعندما ينوي المتزوج أن يدفع الصداق إلى المرأة فإنه يأخذ بذلك حكم الزوج، أما عند ورود النية بعدم الوفاء فإنه يتصف بحكم آخر ... وإذا كان الأمر كذلك، فإن قصد المرسل بوصفه إرادته ليؤثر في خطابه بدرجة أقوى خاصة في إنجاز الفعل اللغوي، لاعتماده على توفر الإرادة من عدمها، وكذلك في ترتيب

الخطاب للتدليل عليه»[٦]، فالإرادة ضرورة تخاطبية وقرينة تداولية يترتب عليها حصول الفائدة من العملية التخاطبية، لأن الإرادة التي تنبني عليها القصدية من الكلام تقتضي أن المنطوق به لا يمكن أن يكون كلاماً حتى تحصل من المتكلم إرادة توجيهه إلى غيره، ومالم تحصل هذه الإرادة من المتكلم فلا يمكن أن يعد متكلماً، كما لا يُعَد المنطوق به كلاماً مالم تحصل من المتكلم الإرادة في إفهام الغير، فإن لم تحصل من المتكلم هذه الإرادة فلا يُعَد متكلماً حتى لو فَهِم المتلقي ما تمَّ التلفظ به، لأن المتلقي لا يمكن أن يصدق عليه كونه متلقياً حقاً حتى يكون قد أُفهِم ما فَهِم سواء أوافق الإفهام الفهم أم خالفه[٧]، وقد تتجاوز إرادة المتكلم من خطابه المعنى الحرفي للخطاب فيحمل مقاصد أخرى يريد إيصالها إلى مخاطبه، لذا لا يمكن القول أنه «إذا قيل: معنى اللفظ كذا، فالمراد به أن محل العناية به كذا، والعناية من جانب المضمون هي الإرادة والقصد، فيكون معنى الشيء هو ما يُقصَد به ويُراد منه، ومعنى اللفظ هو المراد منه والمقصود به والمقصد منه»[٨]، وهناك من عمل على تطوير المعنى القصدي ووسع من استخدامه في تحليل فعل الإدراك العقلي، إذ عني هوسرل (Husserl) بدراسته ليس فقط من حيث ارتباطه بموضوعات العالم الخارجي، بل صلته بالشعور الداخلي والأفعال القبلية، فالتحليل القصدي عنده يختص «بدراسة عمليات الربط والتأليف وحدس الماهيات وغيرها بطريقة أكثر عمقاً وخصوبة»[٩]، ومما يمكن أن نلحظه هو تعدد الحد المنطقي لمفهوم الإرادة حسب اختلاف مواطن البحث الفلسفي والأصولي والفقهي، فقد استعمله الفقهاء تارة بمعناه اللغوي وهو المشيئة، وأخرى أرادوا به قصد المعنى، ويستعمل في الذهن ويراد به طلب المعنى[١٠]، وقد عني الأصوليون عناية كبيرة بعلاقة اللفظ بالمعنى واعتمدوا في ذلك على القصد والإرادة في استنباط الحكم الشرعي، إذ يظهر مراد المتكلم من خلال القصد، فالعبرة بإرادة المتكم لا بلفظه حسب رأي الأصوليين، و»التعويل في الحكم على قصد المتكلم، والألفاظ لم تقصد لنفسها وإنما هي مقصودة للمعاني، والمتوصل بها إلى معرفة مراد المتكلم، ومراده يظهر من عموم لفظه تارة، ومن عموم المعنى الذي قصده أخرى»[١١]، فمن تعرف على مراد المتكلم بأيّ دليل من الأدلةِ وجب عليه اتباع مراده، فالألفاظ لم تقصد لذواتها، بل هي أدلة وضعت ليستدل عن طريقها على مراد المتكم، فإذا ما ظهر مراد المتكلم بأي طريقة كان وجب العمل بمقتضاه، سواء كان ذلك بالكتابة أم بالإشارة، أم قرينة عقلية أو حالية تدل عليه[١٢].

إن من أهم الأمور التي عنى بها

الأصوليون كذلك هي أن دلالة الألفاظ تابعة لإرادة المتكلم، وقد أشار إلى ذلك الشيخ المظفر عندما ميَّز بين الدلالة التصورية والدلالة التصديقية، منبهاً إلى أن معنى اللفظ في الأولى ينتقل إلى ذهن المتلقي بمجرد صدوره من المتكلم وإن كان اللفظ صادراً من النائم أو الساهي أو الغالط، في حين تكون دلالة اللفظ في الثانية على المعنى الذي هو مراد المتكلم وقاصد لاستعماله فيه[١٣]، فيرى «أن الدلالة تابعة للإرادة...لأن الدلالة في الحقيقة منحصرة في الدلالة التصديقية، والدلالة التصورية التي يسمونها دلالة ليست بدلالة وإن سميت كذلك، فإنه من باب التشبيه والتجوز»[١٤]، كما أن دلالة النصوص لدى الأصوليين تكون على نوعين: «حقيقية، واضافية، فالحقيقية تابعة لقصد المتكلم وإرادته...والإضافية تابعة لفهم السامع وادراكه، وهذه الدلالة تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين السامعين في ذلك»[١٥]، وعلى هذا الأساس فإن الإرادة والقصد تنطلق من المتكلم لتقترن بدلالة الكلام، وهي من الضرورات الدلالية المصاحبة للكلام، ونخلص مما سبق أن المعنى العام لمفهوم الإرادة يراد به الوصول إلى المعنى الذي يكمن خلف أستار الألفاظ أو في ذهن المتكلم مادام مريداً وقاصداً إفهام مخاطبه، ويتحمل المتلقي مسؤولية الكشف والوصول إلى مراد المتكلم أو ما يقرِّبه من فهم مقاصده.

المبحث الثاني:

الإرادة في الإطار الخارجي للسورة:

إنّ النص القرآني كان وما يزال يمثل المركز في الثقافة العربية الإسلامية، ومن ثم فإن الكشف عن مقاصده وتجليات الإرادة في مضامينه يعد كشفاً عن آليات انتاج المعرفة، وبما أن الحديث هنا عن سورة الناس، كان لا بدّ أن نسلط الضوء أولاً على الإطار الخارجي للسورة متمثلاً بعنوان السورة الذي يمثل النص الموازي للسورة، ومناسبة نزولها والظروف المحيطة، إذ يعد ذلك بمثابة المفاتيح للنصوص، لما تحمله من قراءات دلالية تسهم في التعبير عن مكنونات ومقاصد النصوص، فضلاً عن أنها بمنزلة الموجه الرئيس لمحاور النص لما يمارسه من الحضور الكبير والهيمنة على مساحة المنتَج الإبداعي، فالحديث عن عنوان هذه السورة أو تسميتها بـ (سورة الناس) يمثلُ اللقاء الأوَّل بين السورة والقاريء، وسواء كانت هذه التسمية توقيفية أم وضعية فإننا نجد لبعض السور القرآنية أكثر من اسم أو عنوان واحد، وبعضها الآخر، ومنها هذه السورة (سورة الناس) التي عرفت بهذا الاسم، ولم تنفرد بغير هذا الاسم، وعرفت مع السورة التي قبلها وهي (سورة الفلق) بالمعوذتين، وكذلك بالمقشقشتين[١٦]، ويمكن الاستفادة من هذا العنوان للتعرف على

الحمولات الدلالية داخل النص المقدس، إذ أسهمت تسمية السور القرآنية بشكل كبير في تطوير صياغة العناوين بشكل يتسم بالإيجاز والإعجاز، ومكّنت من التطور باتجاه اختيار العناوين المناسبة للنصوص[١٧]، فعنوانات السور القرآنية عبارة عن «علامات لسانية وأنظمة سيميولوية تعرِّف بالنص وتوحي بدلالاته، لما تحمله من بعد اشاري يعين القاريء بالنفاد إلى أعماقِ النصِّ لتفسيره وتركيبه من جديد...وهذه التسميات على تنوعها قد استمدت من سياق التعبير أو الموقف التداولي الذي أحاط بها، فهي رصد لدلالات النص الاجتماعي والثقافي المحيط بها»[١٨]، وقد سميت هذه السورة بـ (الناس)، والمراد بالناس هم الإنس بصورة خاصة، ويعني الجماعة ومفردها انسان، ولا واحد لها من لفظها، وأصله أُناس، ثم سكّنت الهمزة فأدغمت في اللام، وقيل أن الناس لغة مفردة مشتقة من النوس، ويراد به الحركة، ناسَ ينوسُ نوساً إذا تحرك، والأُناس لغة أخرى[١٩]، ودلالته على «الاضطراب والتذبذب، وناسَ الشيءُ: تذبذبَ»[٢٠]، وتمثل هذه الكلمة البؤرة لجملة اسم السورة، وأسهمت في اخراج هذه السورة من الغموض والإبهام، ونتج عنها تعريف السورة، لذا فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمتن السورة، والقصد من تسمية هذه السورة بهذا الاسم هو «الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك، لأن الانسان مطبوع على الشر، وأكثر شرّه بالمكر والخداع، وأحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فإن الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهي، والناس مشتق من الإنس، فإن أصله أناس، وهو أيضاً اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس، فطابق حينئذ الاسم المسمى»[٢١]، فنجد أن اختيار هذه التسمية ـــ الناس ـــ يتناسب مع مضمون السورة، لأن المحور الذي يدور حوله النص هو الناس بكل ما يحمله هذا المفهوم من معنى من حيث الجوانب النفسية والاجتماعية والفسيولوجية، فضلاً عن الدينية والتعبير عن حاجة الناس إلى من يدفع الشر عنهم نتيجة لضعفهم وعدم القدرة على دفعه عن أنفسهم، فالقصد من اختيار التسمية بما يتلاءم مع المضمون له دواعٍ دلالية وجمالية ونفسية، من شأنها أن تجعل المتلقي يتبع هذه القصدية ليصل إلى أغوار النص ومن ثم الدخول إلى عالمه، مفصحاً عما في داخله بوصفه صورة إيقونية بارزة[٢٢]، إذ يمثل العنوان ـــ اسم السورة ـــ النص الموازي للمتن، مما يتطلب فهمه وتأويله تمهيداً للدخول في النص.

إن سورة الناس هي السورة الأخيرة في القرآن الكريم حسب الترتيب الترتيلي للسور القرآنية، وقد اختلفت الآراء في

هـذه السـورة، فهـي مكيّـة عنـد مـن يـرى أن سـورة الفلـق مكيّـة، ومدنيـة عنـد مـن قـال أن سـورة الفلـق مدنيـة، وذلـك لنزولهما متعاقبتـين، فالاختـلاف في الأولى ينطبـق عـلى الثانيـة، ويغلـب عـلى الآراء أنهـا مدنيـة كسـابقتها سـورة الفلـق، لأنهـما نزلتـا معـاً حسـب الروايـات التـي اسـتدل بهـا بعضهـم، وعـدد آياتهـا سـت أيـات[٢٣].

إن الحديـث عـن مدنيـة السـورة لا يتوقـف عنـد حـدود الزمكانيـة الفارغـة، بـل لهـذه المرحلـة الأثـر الكبـير في تشـكل النـص مـن حيـث الشـكل والمضمـون، لوجـود علاقـة جدليـة بـين النـص والسـياق، تنعكـس عـلى مـراد المتكلـم وقصـده مـن الخطـاب الموجـه إلى متلقيـه الـذي يتصـف بمواصفـات ذلـك الواقـع وظروفـه، وشـعوره بالحاجـة الماسـة إلى مضمـون مثـل هـذه السـورة لحمايـة نفسـه مـن الـشر الباطـن الـذي كان يداهمـه ويعمـل عـلى إيذائـه وانحرافـه، إذ يكـون للسـياق الواقعـي دوره في «اعتـماد الفهـم عـلى العـرف السـائد أو عـلى التاريـخ أو عـلى الجغرافيـا أو عـلى العلاقـات السـائدة بـين عنـاصر الموقـف الـذي تـم فيـه الـكلام»[٢٤]، وعـلى هـذا الأسـاس فـإن القـرآن المـكي «يتميـز بكـون موضوعاتـه تـدور حـول أمـور العقيـدة والآخـرة ومجادلـة المشركـين وقصـص الأنبياء...بينـما يتميـز القـرآن المـدني بكونـه يـدور حـول موضوعـات أخـرى خاصـة، منهـا العبـادات والمعامـلات ومجادلـة اليهـود والنصـارى والمنافقـين»[٢٥]، فسـورة النـاس مـن السـور المدنيـة، وعندمـا نشـير إلى مدنيتهـا فـإن ذلـك يـشي ببعـض الحمـولات الدلاليـة اللسـانية التـي يتصـف بهـا الخطـاب المـدني الـذي يعـبر عـن مقاصـده الخاصـة، فمجـيء بعـض الألفـاظ في السـورة مثـل (رَبّ النـاس، مَلِـك النـاس، إلـه النـاس، الوسـواس الخنّـاس...) تعـبر عـن حمـولات دلاليـة ذات مضامـين مؤثـرة في وجـدان المتلقـي، فالخطـاب وأن كان موجهـاً إلى النبـي (ص) إلا أن القصـد شـمول أمتـه بذلـك، وقـد حملـت السـورة بمدنيتهـا السـياق الاجتماعـي الواقعـي بثقافتـه ولغتـه، لتعكـس صـورة عـن مـراد المتكلـم وقصـده مـن تشـكيله لخطابـه في الزمـان والمـكان المحـدد، والأحـداث والصراعـات التـي كان ومـا زال الفـرد يعيشـها مـع نفسـه ومجتمعـه.

إن الوصـول إلى مـراد المتكلم وقصده يعتمد عـلى خطـوات عـدة، وفي النـص المقـدس فـإن مناسـبة نـزول السـورة وظروفهـا يـؤدي إلى دور الكاشـف عـن ذلـك المـراد، وقـد أولى المفـسرون بمعرفـة أسـباب النـزول عنايـة كبـيرة، و«أخطـأ مـن زعـم أنـه لا طائـل تحته لجريانـه مجـرى التاريـخ، وليـس كذلـك بـل لـه فوائـد منهـا، وجـه الحكمـة الباعثـة عـلى تشريـع الحكـم، وتخصيـص الحكـم بـه عنـد مـن يـرى أن العـبرة بخصـوص السـبب، ومنهـا الوقـوف عـلى المعنى...وبيـان سـبب النـزول طريـق قـوي في فهـم معـاني الكتـاب العزيز...وقـد يكـون اللفـظ عامـاً، ويقـوم

الدليل على التخصيص، فإن محل السبب لا يجوز اخراجه بالاجتهاد والاجماع... ومن الفوائد دفع توهم الحصر»[٢٦]، ومن هنا يمكن الاعتماد على القول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، مما يسهم في اخراج النص المقدس من أن يجري مجرى التاريخ، فمسألة تاريخية النص الديني ما زالت تثير الجدل في الفكر الديني المعاصر، فهناك من يعتقد أنها تهدم الدين ولا تبقي منه شيئاً، وثمة من يرى فيها آلية للارتقاء بالفهم الديني بما ينسجم مع متطلبات العصر[٢٧]، مما يتطلب التمييز بين تاريخية النص الديني وتاريخية الفهم المعبر عن ذلك، وقد جاءت أسباب النزول لهذه السورة محملة بشحنة دلالية تمارس دوراً إحالياً ينعكسُ من خارجِ السورة إلى داخِلها تُسهم في الوصول إلى مراد المتكلم، وكان من سبب نزولها أن رسول الله (ص) قد اشتكى من وجع شديد فأتاه جبرائيل وميكائيل (ع) فعوذاه بهذه السورة إلى جانب سورة الفلق، ومما جاء أيضاً أن الشيطانَ واضع خطمه على قلبِ الانسان فإذا ما ذكر الله خنسَ، وإذا نسي التقم، وهذا هو الوسواس الخنّاس، وقيل أن رسول الله (ص) كان كثيراً ما يعوّذ الإمامين الحسن والحسين (ع) بهذه السورة وسورة الفلق كذلك.

مما تجدر الاشارة إليه هو وجود الترابط بين آيات هذه السورة وأسباب نزولها، وهو ترابط دلالي إحالي يعكس العلاقة بين النص والموقف الخارجي ليكشف عن إرادة المتكلم من انتاج خطابه، فالإنسان معرض للوساوس من الجن الإنس، الذين يسعون بشكل مستمر من أجل إبعاده عن جادة الحق مهما كانت مكانته في المجتمع، وهذه السورة جاءت لتأمر النبي (ص) أن يستعيذ بالله تعالى من شر الموسوسين باعتباره القدوة والأسوة في المجتمع[٢٨]، وبهذا تتضح العلاقة بين أسباب النزول ونصوص الآيات لفهم معانيها والوقوف على مرادها، فالمقصود هو تعليم النبي (ص) أمته من بعده كيفية الاستعاذة بالله تعالى مما ينبغي الحذر منه في أمور الدين والدنيا، لبيان خطورة ما يستعاذ منه في هذه السورة وعملاً بكتاب الله تعالى، واعترافاً بضعف الإنسان وعجزه عن حماية نفسه إلا بالرجوع إلى الله تعالى القادر على حماية خلقه مما يستعاذ منه، وفي ذلك ترسيخ لتوحيد الله تعالى والاعتراف بربوبيته كونه الخالق لهذا الكون والمسيطر على ما فيه.

المبحث الثالث:

مجالات تحقق الإرادة داخل السورة:

الإستعاذة معياراً للإرادة:

عوذ: أصل يدل على معنى واحد، هو الإلتجاء إلى الشيء، ثم يُحملُ عليه كل ما يلصق بالشيء أو يلازمه، ومنه عاذَ

به يعوذ عوذاً، إذا لاذ به ولجأ إليه[٢٩]، وما تصرَّف من هذا اللفظ يدل على «التحرز والتحصن والالتجاء، وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً»[٣٠]، ويتحقق هذا التعوذ إذا وجد مصداقاً له يتحقق خارجاً، إذ لا يكفي إظهار ذلك بالقول فقط، فمجرد التلفظ باللسان لا يفيد الالتجاء والاعتصام، فذكر الدواء لا يعالج الألم والمرض، وعلى المستعيذ الحقيقي اقتران قوله بالاعتراف بربوبية الله تعالى، والخضوع لمالكيته وطاعته لأوامره، وأن يسير على طريق عبوديته دون غيره[٣١]، وفي الحديث عن القرآن الكريم فإنه لا يشك أحد في بلاغة المعاني القرآنية من خلال انتقائه لألفاظه، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن معنى الكلمة أو العبارة يمثل المضمون الذي يعبر عن موقف أو حركة فكرية تستند على إرادة المتكلم، والفهم المقرون بالشعور من قبل السامع وما يرافق ذلك من العلامات المرتبطة بهذا الشعور[٣٢]، فالقصد من الإستعاذة من قبل المستعيذ إرادة تحقق المعنى «القائم بقلبه وراء هذه العبارات، وإنَّما هي تمثيلٌ وإشارةٌ وتفهيمٌ، وإلا فما يقوم في القلبِ حينئذٍ من الالتجاءِ والاعتصامِ والانطراحِ بين يدي الرَّب، والافتقار إليه والتذلل بين يديه، أمرٌ لا تحيط به العبارة»[٣٣]، فالمقصود من الإستعاذة بالله تعالى في هذه السورة لا يراد به ترديد ذلك باللسان فقط، بل اللجوء إليه (عزَّ وجلَّ) في الفكر والعقيدة واقتران ذلك بالعمل، والابتعاد عن الطرقِ الشيطانية على اختلاف مسالكها، فلا تكفي قراءة هذه السورة وتكرار ألفاظها لمن يرخي عنان نفسه لوساوسِ الشيطان[٣٤]، ومما يمكن ملاحظته أيضاً أن المراد من الإستعاذة هو الاعتصام بالله تعالى من الشرَّ الباطن المأنوس به، واسم السورة يدل على ذلك، فالإنسان مطبوع على الشرِّ، وأكثر ما يكون ذلك بالمكر والخداع[٣٥]، فبعدما كانت الإستعاذة في سورة الفلق من شرّ ما خلقه الله تعالى مما يتسبب عنه المضار البدنية وغيرها للإنسان، وقد وقع فيها التخصيص بأنواع معينة من الشرور الخارجية كالغاسق والساحر والحاسد، جاءت سورة الناس للإستعاذة من الشرّ الخاص متمثلاً بالوسواس، ويتعلق بالمعايب الداخلية التي تلحق بالنفوس البشرية وأصلها الوسوسة، وينتج عن ذلك ارتكاب الذنوب والمعاصي، وهي من الجن أمكن وأكثر ضرراً[٣٦]، لذا نرى تقديم لفظ الجن على الناس.

إن المضامين القرآنية امتازت عن غيرها ببعدها عن التكلف، وبعثها للخيال لدى المتلقي نتيجة التوظيف الجيد، فهي تعمل على استقطاب انتباه المتلقي وتؤثر فيه بسبب قوة بلاغتها وحسن اختيار ألفاظها وطبيعة ترتيبها، فنجد

أن القرآن الكريم قد اعتنى بالفعل فأخرجه من إطاره الزمني الضيق المتمثل بالحدث وزمنه وأدخله في دائرة الزمن الفلسفي[٣٧]، وكان للفعل في سورة الناس دلالة متميزة تعبر عن إرادة المبدع (عزَّ وجلَّ) في انتاج خطابه، فقد تقدم فعل الأمر (قل) على فعل الإستعاذة المضارع (أعوذ) لما يمثله ذلك من إفادة الحاضر والمستقبل، وهذا الاتحاد الزمني أخرج الفعل من محدوديته الزمنية النحوية إلى نظام زمني أوسع يمتد من لحظة التكلم به إلى المستقبل، مع تصدر فعل الأمر على وجه الاستعلاء، وإضمار الفاعل الذي جاء تعظيماً للنبي (ص) باعتباره المخاطب المباشر، فالأمر موجه إلى النبي (ص) إلا أنه يشمل جميع من آمن به، وقد كان المراد بذلك هو التبليغ والإرشاد للاستمرار والمداومة على ذلك، لأن المقصود من زمن الأفعال هو الزمن الإنساني الفلسفي، فلا توجد حدود زمنية لهذا التعوذ، ليشمل الحاضر والمستقبل مادام الإنسان موجوداً على وجه الأرض.

لقد ربط الأصوليون الأوامر والنواهي بإرادة المتكلم التي تساير مفهوم القصدية عند التداوليين[٣٨]، فكان للأمر بالقول في بداية السورة بالغ الأهمية للتعبير عن ضعف الإنسان وحاجته إلى ربه، وفي هذا الاستعمال اللغوي دلالة على إرادة المتكلم (عزَّ وجلَّ) في بيان ذلك بتوجيه الأمر له بأن يعلن التجاءه إلى الله تعالى ولا يكتفي بمجرد الشعور بتلك الحاجة، فهو بحاجة إلى إعانة الله تعالى على نحو الاستمرار، وهذا ما تجسد في كلمة (أعوذ) لغرض التحرز والتحصن والنجاة، ولا يمكن النطق بالإستعاذة دون الأمر بـ (قل)، ومن مقاصده هو قتل الغرور والكبر الذي قد يمنع الإنسان من طلب الإعانة أحياناً على الرغم من حاجته إليها، وفي هذا اعتراف واضح من الإنسان بضعفه وقلة حيلته أمام عدوه من الجن والإنس، كما اشتملت الإستعاذة على قصد المتكلم (عزَّ وجلَّ) في ترسيخ العقيدة في قلب الإنسان المؤمن بتوحيد الله تعالى، وبيان قوته وقدرته على تخليصه مما يستعيذ منه، فهو العاصم سبحانه وخير من يستعاذ به، فكان للإستعاذة دور كبير في شدّ عرى القصد وتحقيق التطابق بين استعمال اللغة ومقاصد المتكلم.

الإضافة معياراً للإرادة:

إن المقصود بالإضافة عند النحويين هو اسناد اسم إلى اسم آخر، والمراد بهذا الاسناد هو النسبة، فقد جاء في مفهوم الإضافة أنها «نسبة اسم إلى غيره على تنزيل الثاني من الأول منزلة تنوينه، أو ما يقوم مقام تنوينه»[٣٩]، فإذا أضيف الاسم إلى اسم آخر يصبح الثاني من تمام الأول، وصارا اسماً واحداً ليكون الثاني مجروراً بإضافة الأول إليه فنقول: هذا عبدُاللهِ[٤٠]، فالمقصود بالإضافة عند النحويين هو نسبة الاسم الأول إلى الثاني

والربط بينهما ليكونا بمنزلة الشيء الواحد، والجر هو علم الإضافة، إذ تشير الكسرة في الإضافة إلى ارتباط الكلمة بما يقابلها، وأن ما لحقته الكسرة هو مضاف إليه أو تابع إلى المضاف إليه[٤١]، ومما لاشك فيه أن الإضافة تحمل من المعاني والمضامين ما يقع خارج نطاق الشكل أو البنية، فضلاً عن كون الإعراب يسهم في بيان المعاني والوقوف على أغراض المتكلمين[٤٢]، فالاستعمال اللغوي مرهون بإرادة المتكلم من أجل إيضاح المعنى عند المخاطب، إذ لا يكون المنطوق به كلاماً «حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير، وما لم تحصل منه هذه الإرادة فلا يمكن أن يعد متكلماً حقاً حتى لو صادف ما لفظ به فهماً ممن التقطه، لأن الملتقط لا يكون مستمعاً حقاً حتى يكون قد أُفهِم ما فَهِم، سواء أوافق الإفهام الفهم أم خالفه، أو قل حتى يدرك رتبة الفاهم، فالفاهم هو عبارة عن الملتقط الذي قصده المُفهِم بفعل إفهامه»[٤٣]، ونجد أن علاقة المضاف بالمضاف إليه من الناحية الدلالية تسهم بشكل كبير في حبك النص من حيث الشكل والمضمون[٤٤]، فضلاً عن نسبة الاسم الأول (المضاف) إلى الاسم الثاني (المضاف إليه)، وما يترتب على هذه النسبة من مقاصد المتكلم ومراده، وقد اشتملت سورة الناس على ثلاث اضافات لا تخلو من القصد، فالمستعاذ منه شرّ واحد هو الوسوسة، وقد جاءت الإستعاذة بـ (ربّ الناس، ملك الناس، إله الناس) من هذه الوسوسة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى خطورة هذه الوسوسة على الناس، كما أن تكرار الإضافة لا يعني أن ذلك يحمل مدلولاً واحداً، بل يختلف في كل مرة عن سابقتها وفي ذلك زيادة في البيان، أضف إلى ذلك طبيعة الترتيب (الرب، الملك، الإله)، يدعو ذلك إلى استحضار حيثيات متعددة لغرض الوقوف على مراد المتكلم، ومن ثم تحقيق الإفادة من العملية التواصلية، فإضافة الرّب تتضمن الخلق والتدبير، وتربية الناس وجلب مصالحهم، ودفع الشرّ عنهم بتمام قدرته وسعة رحمته، وهذا معنى ربوبيته لهم[٤٥]، فالإنسان بطبعة إذا ما أصابه شرّ يخافه أو وقع في حاجة ولم يستطع ردها يلجأ إلى من يقوى عليها ليدفعها عنه ويرشده، وهذا شأن المربي والمعلم الذي يعيش في كنفه وهو (الرّب)، لذا بدأت السورة بـ (رَبّ الناس)، فالرّب قد يكون ملكاً أو لا يكون كذلك فيقال ربّ الأسرة.

ثم الانتقال إلى الإضافة الثانية (مَلِك الناس)، فعندما لا يفلح الإنسان فيما أراده يلجأ إلى السلطة الأعلى وهو الملك، فـ (مَلِك الناس) هو «مَلكهم المتصرف فيهم، وهم عبيده ومماليكه، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء...الذي له السلطان التام عليهم...إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب...فلا صلاح لهم

ولا قيام إلا بتدبيره...يهربون إليه إذا ما دهمهم العدو»[٤٦]، فهو الذي يملك أمرهم والمهيمن عليهم والقادر على نصرهم، ثم أن هذا المَلك قد يكون إلهاً وقد لا يكون، فجاءت بعد ذلك الإضافة الأخيرة المتممة للمعنى (إله الناس)، فعندما لا يجد الإنسان النفع في السلطة يلجأ إلى الله (عزّ وجلّ)، لأن الألوهية تقتضي القدرة التامة في التصرف في الناس من حيث الإحياء والإماتة والإيجاد والعدم، وليس مجرد الاستيلاء عليهم وتدبير أمورهم وحمايتهم كما هو قصارى جهد الملوك[٤٧]، ففي قوله تعالى: (إله الناس) زيادة في البيان، فقد يقال لغيره (ربّ الناس) كما جاء في قوله تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) [٤٨]، كما قد يقال لغيره (مَلِك الناس)، أما (إله الناس) فهو خاص لا توجد فيه شركة، لذلك فهو يمثل غاية البيان[٤٩]، فهو الإله الحق الذي لا معبود ولا إله للناس سواه.

إن النظر في ما ورائيات هذه الآيات المشتملة على الإضافات الثلاث بحثاً عن قصد المتكلم ومراده، يرشدنا إلى محاكاة الذات القائلة على نحو المقاربة من أجل الوصول إلى القصد من النص القرآني، ومن أبرز صور القصدية التي تجلت فيها هو دعوة الناس إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى، فإذا كان هو ربّنا ومَلِكنا وإلهنا فليس لنا ملجأ في الشدائد غيره سبحانه وتعالى، وهذه هي الطريقة القرآنية في إثبات قدرته و وحدانيته (عزّ وجلّ) للمتلقي المتمثل بالناس، وهذا ما نبّه عليه الأصوليون، فقد وجّه الأصوليون عناية كبيرة في معرفة قصد المتكلم، فلا ينظرون إلى الخطاب بتجريده عن المتكلم والمتلقي وطبيعة العلاقة بينهم، بل ينظرون إليه باعتباره متداولاً طبيعياً يلزم العناية بشروط تحققه، كوجود المتكلم الذي يمثل الحاكم والمتلقي ممثلاً بالمكلف، ومن ثم يجب أن يعرف المكلف قصد المتكلم من الخطاب، وكذلك وجود القضية التي تمثل علة العملية التواصلية[٥٠]، كما أننا نجد أن هنالك تسلسلاً منطقياً في هذا التعبير القرآني المتمثل بالإضافات الثلاث، وذلك من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه لغرض إثبات قدرة الله تعالى على الناس من خلال واقعهم الاجتماعي، فالمعاني القرآنية التي يحملها السياق القرآني للآيات المباركة تشتمل على دلالة مركزية تتمحور حول بيان القدرة الإلهية التي ينفرد بها (عزّ وجلّ) دون غيره، فهذا الترتيب الطبيعي في الآيات المباركة يعبر عن حاجة الإنسان في التعامل مع الحياة منذ مراحل تكوينه الأولى، فمرحلة تكوينه كجنين تحتاج لديمومتها البايولوجية إلى الرّب، ثم يخرج لمواجهة الحياة ومتطلباتها وتنظيم علاقته بالمجتمع فجاءت مفردة (المَلِك) للدلالة على الراعي لهذه المرحلة، ثم تأتي مفردة

(إلـه النـاس) لبيـان قـدرة الخالـق (عـزّ وجـلّ) عـلى كل شيء وضرورة الإسـتعاذة بـه، فـكل مجتمـع بشـكل عـام يحتـاج صغـاره إلى المـربي، ثـم يتـدرج في حاجتـه إلى السـلطة، ثـم الألوهيـة وفـق تسلسـل ذهنـي وزمنـي يقصـده النـص القـرآني، كـما يحمـل هـذا الترتيـب إشـعاراً بمراتـب النظـر في معرفـة اللـه تعـالى، فالناظـر يعلـم منـذ البدايـة أن لـه ربّـاً نتيجـة لمـا يشـعر بـه مـن وجـود نفسـه وطبيعـة تركيبـه، ثـم يتعمـق في النظـر ليشـعر عندهـا أن ربّـه هـو المَلِـك الحـق الغنـي عـن خلقـه، ثـم ليعلـم بعدهـا أنـه تعـالى هـو مـن يسـتحق العبـادة والإلـه للنـاس كلّهـم[٥١]، وانطلاقـاً مـن أن القاعـدة في التواصـل اللغـوي تشـير إلى أن المعنـى لا يكمـن في الأدوات اللغويـة المسـتعملة ذاتهـا، بـل هـو لـدى المتكلـم الـذي يسـخر هـذه الأدوات ويوظفهـا بطريقـة معينـة ليعـبر مـن خلالهـا عـن مقاصـده ومـراده[٥٢]، لذلـك نجـد تكـرار الاسـم الظاهـر في المضـاف إليـه بشـكل صريـح دون اسـتعمال الضمـير، فلـم يقـل: رَبّ النـاس ومَلِكهـم وإلههـم، وذلـك لأن كل صفـة مـن هـذه الصفـات في الإضافـات الثـلاث لهـا معنـى مختلـف ومسـتقل عـن غيرهـا، وأن فعـل التعـوذ يتعلـق بهـا وحدهـا دون غيرهـا، كـما أنـه لم يعطـف بينهـا بعاطـف فيقـول: رَبّ النـاس ومَلِـك النـاس وإلـه النـاس، وذلـك لأن كل واحـدة مـن هـذه الصفـات أو الإضافـات تعـد سـبباً مسـتقلاً بذاتـه في دفـع الـشر[٥٣]، وكذلـك لـكي لا يظـن أحـد أن هـذه الـذوات تختلـف عـن بعضهـا، بـل جميعهـا تعـبر عـن ذات واحـدة للـه تعـالى المـربّي والمَلِـك والإلـه الـذي لا شريـك لـه، والقصـد مـن الإسـتعاذة بجميـع هـذه الصفـات التـي تمثـل الـذات الواحـدة للـه تعـالى، وذلـك يُشـعِر بعِظَـم الـشر المسـتعاذ منـه، مـما سـبق يتضـح لنـا قصـد المتكلـم ومـراده، ذلـك أن الإرادة تمثـل المسـار التـداولي الـذي يوضـح المعنـى، لأن المعنـى كلـه ينصـب عـلى مـا يعنيـه المتكلـم بخطابـه وليـس مـا تعنيـه اللغـة، فمعرفـة قصـد المتكلـم هـي الفيصـل في بيـان معنـاه[٥٤]، إلا أن البحـث مـن أجـل الوصـول إلى القصديـة في النـص القـرآني لا يعنـي بالـضرورة الحصـول عـلى البعـد المعنـوي الأقـصى لمـراد اللـه تعـالى وقصـده، ولكـن تبقـى اللغـة هـي التـي تمثـل مـدار التواصـل الـذي يمكـن اعتـماده مـن أجـل التحـري عـن القصـد في النـص المقـدس، مـع الأخـذ بنظـر الاعتبـار السـياق الخارجـي والظـروف المحيطـة بالنـص بمـا فيهـا مـن الافتراضـات المسـبقة والمعـاني الضمنيـة التـي يمكـن فهمهـا.

المجال الصوتي:

إن للدراسـة الصوتيـة أهميـة كبـيرة في علـوم اللغـة، وذلـك لمـا للمجـال الصـوتي مـن أهميـة في إبـراز المعـاني وتوضيـح مقاصـد المتكلـم، فالصـوت هـو «آلـة اللفـظ، والجوهـر الـذي يقـوم بـه التقطيـع، وبـه يوجـد التأليـف، ولـن تكـون حـركات اللسـان

لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت»[٥٥]، فاللفظ مكون رئيس للغة، وهو يتكون من أصوات تتحد مع بعضها لتؤدي المعاني المقصودة، ونظراً لأهمية البحث الصوتي فإن كثيراً من علوم اللغة تقوم على أسس صوتية، فنجد أن الكثير من أصول النحو العربي تقوم على الصوت كالحروف المتحركة والحروف الساكنة، فضلاً عن حروف المد وحروف اللين وكيفية التعامل معها، وكذلك فإن الدرس العروضي يمدنا بمعلومات صوتية تعبر عن علاقته بالمقطعية الصوتية كالأسباب والفواصل والأوتاد كعناصر تشترك في تكوين التفاعيل، ولعلم الصرف ارتباط وثيق بالأصوات اللغوية، فما يطرأ على بنية الكلمة من تصريفات مختلفة كالإفراد والتثنية والجمع، والمبالغة والتصغير وغيرها من التغيرات التي تحصل للكلمة المفردة، أو في سياقاتها الصوتية أثناء وقوعها في درج الكلام كالإدغام والوصل وغيرها من المباحث الصرفية، أضف إلى ذلك فإن للقرآن الكريم إضافات وتفصيلات تميزت بخصائصها الصوتية[٥٦]، وكل ذلك يحمل معاني معينة تعبر عن قصد المتكلم ومراده، والصوت اللغوي نموذج من نماذج السلوك الاجتماعي، وهو موضوع علم الأصوات اللغوية[٥٧]، كما أن دراسة الدلالات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسة التبادلات الصوتية في الموقع الواحد، وفي دراسة اللغة لا يمكن لأي لغوي بغض النظر عن منهجه في دراسة اللغة وصفياً أو تاريخياً أو مقارناً أو معيارياً الاستغناء عن علم الأصوات[٥٨]، والخطاب القرآني خير ممثل للغة العربية في مظاهر دلالته الصوتية، إذ «اختار لكل حالة مرادة ألفاظها الخاصة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كلُّ لفظٍ متناسباً مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السمعية من وجه أخر»[٥٩]، وما وجدناه في سورة الناس يشي بعناية المبدع في النص القرآني، فالمفردة القرآنية في هذه السورة قد وظِفت بعناية ودقة فائقة، إذ تتحدث هذه السورة عن التعوذ بالله تعالى من الوسوسة التي ينعكس تأثيرها على نوايا الإنسان وسلوكه، فنلحظ في السورة تكرار بعض الصوامت كالسين والنون بشكل واضح في لفظ (الناس، الوسواس، الخنّاس، يوسوس)، فضلاً عن التكرار في المدود والحركات، وهذا يدل على حجم التناسب بين الجانب الصوتي والمضمون، فخفاء الوسوسة مع القوة في التأثير على نفس الإنسان تتجلى في التعبير الصوتي، إذ تتساوى دلالة الصفير في صوت السين مع الاحتكاك المقرون بالغنة، وظهور النغمة مع وجود الرخاوة في المدود، كل ذلك يعبر عن الهمس والخفاء في عملية الوسوسة بما يرافقها من الشدة واستمرار المعاناة، أما صوت النون الذي تكرر في السورة المباركة فهو من الأصوات الأنفية

ذات الجرس العالي، وهذا الجرس الذي يستطيبُه السمع ويستطربُه مما يشد انتباه السامع، وقد تكرر هذا الصوت (النون) في لفظ (الناس، الخناس، الجِنة)، ويتوسط هذا النوع من الأصوات بين الشدة والرخاوة[٦٠]، مما يعكس الصورة التي يوسوس فيها ذلك الخناس للإنسان سواء كان من الجِنة أو من الناس، وكأن هذه الوسوسة تتمثل في صدور الناس بشكل خفي ومتستر، ونجد أن المقصود بالوسواس هو حديث الناس أو حديث النفس بما هو كالصوت الخفي، أما الخناس فيراد به الاختفاء بعد الظهور، وقد سمي الشيطان بذلك لأنه يوسوس للإنسان عندما يغفل عن ذكر الله، فإذا ذكر الله تعالى رجع وتأخر ليخنس، ثم إذا غفل عاد إلى حاله في الوسوسة[٦١]، فتكرار صوت السين في (الوسواس) لم يكن صدفة، بل يعبر عن إرادة المبدع في إيضاح معنى وطريقة تكرار عمل الوسوسة المقرونة بالخفاء والاستمرارية كلما غفل الناس عن ذكر الله، وهذا يدل على قصدية واضحة لدى المتكلم يريد من خلالها إيصال المعنى إلى المتلقي، وقد أسهم ذلك في تعميق المعنى في ذهن المتلقي مستفيداً من الجانب الإيقاعي الصوتي الذي يقصده المبدع.

إن مجيء صوتي الشين والراء في لفظ (الشّر) كان له نصيبه من الدلالة التي تكمن في قصد المتكلم ومراده، فصوت الشين من الأصوات الاحتكاكية الرخوة التي يسمع عند انتاجها بعض الحفيف الهوائي، ويوصف هذا الصوت بصفة التفشي، وذلك بانتشار الهواء والهمس[٦٢]، وهذا يتناسب مع إرادة بيان سرعة وانتشار الوسوسة وقوة تأثيرها، وتكرار الراء بالتشديد يدل على الاستمرارية والتكرار في الحدوث[٦٣]، فكانت كلمة (شر) أكثر مناسبة من غيرها في هذا المقام، مما يعكس دقة التعبير القرآني وملاءمته للمعنى المراد.

هذا على مستوى الصوت المفرد في سورة الناس، أما الفاصلة القرآنية في هذه السورة فقد تم توظيفها بشكل يتناسب مع المعاني المقصودة في آياتها، والمقصود بالفاصلة القرآنية هي الكلمة الموجودة في آخر الآية، كالقافية في الشعر وقرينة السجع[٦٤]، ومجيء الفاصلة القرآنية على هيئة معينة يرتبط بإرادة المتكلم وقصده بطبيعة الحال، وهي من التقنيات اللغوية الصوتية التي تؤثر في نفس المتلقي، لتحسين الكلام وتمكين المعنى في نفسه، فهي مما «توجب حسن إفهام المعاني»[٦٥]، وما وجدناه في سورة الناس من تكرار المقطع الصوتي لحروف النون والألف والسين في جميع فواصل آيات هذه السورة قد أضفى عنصراً تطريبياً يسهم في شد انتباه المتلقي بتنغيم رنان.

إن تكرار الفاصلة نفسها في آيات السورة جميعها يعطي دلالةً صوتيةً بارزةً

مفادها أن الناس هم المعنيون بالانتباه والحذر، وأن الوسواس الخناس في الفاصلة (الخناس) يظهر تارة ويختفي أخرى بين الشدة والرخاوة في الوسوسة تبعاً لتلك الحروف المكونة لهذه الفاصلة والمعروفة بالاستيفال، إذ تتميز بانخفاض الصوت إلى قاع الفم فهي ضد الاستعلاء[٦٦]، لذا لا يمكن «التغافل عن مهمة الانسجام الصوتي، والوقع الموسيقي في ترتيب الفواصل القرآنية، فهي مرادة في حدّ ذاتها إيقاعياً، ولكن يضاف إليها غيرها من الأغراض الفنية والتأكيدات البيانية»[٦٧]، وتتصف الأصوات المكونة لهذه الفاصلة القرآنية بالرخاوة والانفتاح[٦٨]، فهي من الأصوات الرخوة الانفتاحية، ويتوسط هذا المقطع صوت الألف الدال على الاستمرارية، وباجتماع ذلك دلالة على الاستمرارية في الرخاوة والانفتاح في جنب ذكر الله تعالى والتعوذ به، مع استمرار الوسواس الخناس في وسوسته متى وجد استرخاء النفس وانفتاحها باتباع الهوى، مما يعكس الصراع الذي يعيشه الانسان مع نفسه، وما يمكن ملاحظته أن البنية الصوتية في هذه السورة قد أسهمت بشكل كبير في التعبير عن مراد المتكلم وقصده، وقد اتضح السبب من استعمالها تبعاً لتلك المقاصد، حتى تحصّل نتيجة لذلك فائدة المطابقة بين الجانب الصوتي وقصد المتكلم.

المجال الصرفي:

إن الاهتمام بصيغة الكلمة يبين الأثر الذي تقدمه المفردة في أداء المعنى المقصود، وهذا الأمر لا يقع اعتباطاً بل محكوم بقوانين اللغة وأنظمتها للتعبير عن إرادة المتكلم، فالوظائف الصرفية كما يسميها بعض الباحثين يراد بها المعاني المستفادة من الصيغ الصرفية المجردة لمباني التقسيم[٦٩]، فصيغة الكلمة والزيادات التي تدخل عليها تعبر عن المعاني المضافة إليها، فالتصريف يعني «تعريف المعنى في المعاني المختلفة كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها به على جهة التعاقب، فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة...كتصريف الملك في معاني الصفات فصرف في مالك وملك وذي الملكوت والمليك وفي معنى التمليك والتمالك والأملاك والتملك والمملوك»[٧٠]، فالمتكلم أحياناً يحاول إيصال مقاصده إلى المتلقي عن طريق صيغ الكلمات وتصريفاتها، التي تؤثر في المتلقي تبعاً لخزينه اللغوي والاجتماعي والثقافي، فيفهم ما يريده المتكلم من المعاني المباشرة وغير المباشرة، فمجيء لفظ (مَلِك) في قوله تعالى: (مَلِك الناس) جعل الخطاب يحمل بعداً قصدياً أراد المتكلم إبلاغه إلى المتلقي، فـ (مَلِك) على وزن (فَعِل) من الصيغ التي تشترك فيها الصفة المشبهة مع صيغ المبالغة، ودلالتها على هذه الصفة وصاحبها

على وجه الثبوت والدوام، وأنها ملازمة لصاحبها على نحو الاستمرار[٧١]، وهنالك اجماع على اسقاط الألف من لفظ (مَلِك) في هذه السورة، فلو قريء بالألف هنا لنقص المعنى، فالتعبير بالمَلِك في هذا المورد يراد به النظر إلى المالكية المطلقة والثابتة[٧٢]، وفي ذلك دلالة على امتلاكه للناس والسيطرة الكاملة على سبيل الديمومة والأزلية، فهو المَلِك المطلق المتفرد في التصرف في الناس وفي كل شيء، مما يجعل المتلقي يستشعر الحاجة إلى المَلِك الغني عن الكل، والكل محتاج إليه لانفراده في تدبيرهم والتصرف فيهم.

وقد جاء لفظ (الوَسواس) على وزن (فَعْلال) للتعبير عن قصدية تكمن في هذه الصيغة، فـ (الوَسواس) بالفتح اسم لمن تصدر عنه الوسوسة، أما المصدر فهو (الوِسواس) بالكسر كـ (الزِلزال) والمراد به الشيطان، سمي بالمصدر لأن الوسوسة صنعته وشغله الذي يعكف عليه[٧٣]، والنكتة التي تعبر عن إرادة المتكلم في استعمال هذه الصيغة (وَسواس) بالفتح دون (الوِسواس) بالكسر هو أن الأخيرة يراد بها الشيطان، أما الأولى ـــ بالفتح ـــ يقصد بها من تصدر منه الوسوسة من الإنس والجن، فالآية القرآنية اشتملت على تصريح بعمومية المعنى للإنس والجن وليس الشيطان فقط، ولو استعمل لفظ (الوِسواس) بالكسر لكان المقصود بذلك الشيطان دون غيره، وهذا يتناقض مع مراد المتكلم الذي صرحت به الآية المباركة، أضف إلى ذلك أن اطلاق لفظ (الوَسواس) بالفتح دون اسم الفاعل (المُوسوِس) لا يخلو من القصدية، ذلك أن صيغة (فَعْلال) تفيد المبالغة والشدة بالنسبة إلى صيغة (المُوسوِس) التي لا تفيد المبالغة[٧٤]، إذ من الممكن أن تقال لشخص ما تعتريه الوسوسة دون إفادة المبالغة، ففي هذه الصيغة من المبالغة والتكرار ما يفيد بأن ذلك المُوسوِس لا ينفك عن فعل الوسوسة، فهي صفته التي دأب عليها وبالغ في إلقائها إلى القلب في خفاء وتكرير.

وفي استعمال لفظ (الخنّاس) دون لفظ (الخانِس) أو (المُنخَنِس) ما يُشعِر بإرادة المتكلم في إبلاغ رسالة معينة إلى متلقيه، فالخنّاس صيغة مبالغة على وزن (فعّال) من خنَس يخنِس: إذا استخفى وتستر، والخَنْس هو الذهاب في خفية، وقد سميت النجوم بـ (الخُنّس) لأنها تختفي نهاراً وتعود ليلاً، والخناس صفة للشيطان[٧٥]، و»الخناس مأخوذٌ من هذين المعنيين، فهو من الاختفاءِ والرجوع والتأخر، فإن العبدَ إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان...وبذر فيه أنواع الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها، فإذا ذكر العبدُ ربَّه واستعاذ به انخنس وانقبض... وذلك الانخناس والانقباض هو ـــ أيضاً ـــ تجمع ورجوع وتأخر عن القلب إلى الخارج»[٧٦]، وتعد صيغة (فعّال) من

أقوى صيغ المبالغة في الدلالة على تكرار فعل الشيء، وملازمة صاحبه لذلك حتى كأنه حرفة له[٧٧]، وقد جيء من هذا الفعل للمبالغة على صيغة (فعّال) دون (فاعِل) للدلالة على شدة هروبه ورجوعه عند ذكر الله تعالى وهذا دأبه وديدنه، فإذا ذُكر الله تعالى هرب وانخنس وتأخر وإذا غفل عاد يوسوس له[٧٨]، وقد دلت (الخنّاس) على الصفة والموصوف بها على وجه المبالغة والكثرة، وذلك من جهتين: كثرة الناس الذين يخنس لهم فعددهم كثير جداً، وكثرة تكراره لهذا الفعل بالنسبة للشخص الواحد، فعمله يتراوح ما بين الوسوسة والخنوس بشكل خفي مع الديمومة والاستمرار، فاستعمال هذه الصيغة دون غيرها في هذا المقام يعبر عن الإرادة في إيصال هذا القصد إلى المتلقي، فـ «لكل بنية تركيبية معناها ومقصدها وغايتها التداولية، ولكل صيغة لفظية وظيفة إبلاغية توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه»[٧٩]، وفي هذا تحذير من الله تعالى بأن الموسوسين متسترون، ويأتون بطرق خفية لا يمكن رؤيتهم بصورة واضحة، فهم موسوسون خنّاسون يعملون بالمكر والحيلة والخداع وإخفاء الحقائق، وبعد أن أخبرنا تعالى بأساليبهم علمنا كيف نُخنِس وسوستهم بالاستعاذة به جلَّ شأنه.

الخاتمة:

١-إن الإرادة ضرورة تخاطبية وقرينة تداولية يترتب عليها حصول الفائدة من العملية التخاطبية، لأن الإرادة التي تنبني عليها القصدية من الكلام تقتضي أن المنطوق به لا يمكن أن يكون كلاماً حتى تحصل من المتكلم إرادة توجيهه إلى غيره، ومالم تحصل هذه الإرادة من المتكلم فلا يمكن أن يعد متكلماً، كما لا يُعَد المنطوق به كلاماً مالم تحصل من المتكلم الإرادة في إفهام الغير.

٢- أن اختيار هذه التسمية للسورة ـــ الناس ـــ يتناسب مع مضمون السورة، لأن المحور الذي يدور حوله النص هو الناس بكل ما يحمله هذا المفهوم من معنى من حيث الجوانب النفسية والاجتماعية والفسيولوجية، فضلاً عن الدينية والتعبير عن حاجة الناس إلى من يدفع الشر عنهم نتيجة لضعفهم وعدم القدرة على دفعه عن أنفسهم.

٣-كان للأمر بالقول في بداية السورة أهمية كبيرة للتعبير عن ضعف الإنسان وحاجته إلى ربه، وفي هذا الاستعمال اللغوي دلالة على إرادة المتكلم (عزَّ وجلَّ) في بيان ذلك بتوجيه الأمر له بأن يعلن التجاءه إلى الله تعالى ولا يكتفي بمجرد الشعور بتلك الحاجة، فهو بحاجة إلى إعانة الله تعالى على نحو الاستمرار، وهذا ما تجسد في كلمة (أعوذ) لغرض التحرز والتحصن والنجاة.

٤-اشتملت سورة الناس على ثلاث اضافات لا تخلو من القصد، فالمستعاذ منه شرّ واحد هو الوسوسة، وقد جاءت الإستعاذة بـ (ربّ الناس، ملك الناس، إله الناس) من هذه الوسوسة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى خطورة هذه الوسوسة على الناس، كما أن تكرار الإضافة لا يعني أن ذلك يحمل مدلولاً واحداً، بل يختلف في كل مرة عن سابقتها وفي ذلك زيادة في البيان.

٥-تمثل الإضافات الثلاث في هذا التعبير القرآني تسلسلاً منطقياً، وذلك من أجل إقناع المتلقي والتأثير فيه لغرض إثبات قدرة الله تعالى على الناس من خلال واقعهم الاجتماعي، فالمعاني القرآنية التي يحملها السياق القرآني للآيات المباركة تشتمل على دلالة مركزية تتمحور حول بيان القدرة الإلهية التي ينفرد بها (عزّ وجلّ) دون غيره.

٦-إن البنية الصوتية في هذه السورة قد أسهمت بشكل كبير في التعبير عن مراد المتكلم وقصده، وهي من التقنيات اللغوية التي تؤثر في نفس المتلقي، لتحسين الكلام وتمكين المعنى في نفسه، فهي مما «توجب حسن إفهام المعاني وقد اتضح السبب من استعمالها تبعاً لتلك المقاصد، حتى تحصّل نتيجة لذلك فائدة المطابقة بين الجانب الصوتي وقصد المتكلم.

٧-يحاول المتكلم أحياناً إيصال مقاصده إلى المتلقي عن طريق صيغ الكلمات وتصريفاتها، التي تؤثر في المتلقي تبعاً لخزينه اللغوي والاجتماعي والثقافي، فيفهم ما يريده المتكلم من المعاني المباشرة وغير المباشرة، فاستعمال صيغة معينة دون غيرها في هذا المقام يعبر عن الإرادة في إيصال قصد معين إلى المتلقي، فلكل بنية تركيبية معناها ومقصدها وغايتها التداولية، ولكل صيغة لفظية وظيفة إبلاغية توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه.

الحواشي:

١- ينظر تاج اللغة وصحاح العربية ــ الجوهري: ٥٧٨/٢ ، مقاييس اللغة ــ ابن فارس: ٤٥٧/٢

٢- تاج اللغة وصحاح العربية: ٥٧٨/٢

٣- لسان العرب ــ ابن منظور: ١٧٧٢/٣

٤- ينظر موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون ــ التهانوي: ١٣٢/١

٥- ينظر التداولية عند العلماء العرب ــ مسعود صحراوي: ١٨٦

٦- استراتيجيات الخطاب ــ الشهري: ١٨٩

٧- ينظر التكوثر العقلي ــ طه عبد الحمن: ٢١٤

٨- فقه الفلسفة ــ طه عبد الرحمن: ١٦٠

٩- الفينومينولوجيا عند هوسرل ــ سماح رافع محمد: ٥٢

١٠- موسوعة الفقه الإسلامي ــ مؤسسة دائرة المعارف: ٣٤٠/٨

١١- اعلام الموقعين عن رب العالمين ــ ابن قيم الجوزية: ٣٨٤/٢

١٢- ينظر المصدر نفسه: ٣٨٥/٢

١٣- ينظر أصول الفقه ـ محمد رضا المظفر: ٦٤/١

١٤- المصدر نفسه: ٦٥/١

١٥- اعلام الموقعين عن رب العالمين: ١١٦/٣

١٦- ينظر تفسير الميزان ــ الطباطبائي: ٤٥٨/٢٠ ، روح المعاني ــ الآلوسي: ٢٨٥/٣٠

١٧- ينظر العنوان في الأدب العربي ـ النشأة والتطور ــ محمد عويس:٨٨

١٨- سيميائية العنوان في سورة الاخلاص ــ خالد كاظم حميدي: ٣٣٠

١٩- ينظر الفروق اللغوية ــ أبو هلال العسكري: ٢٧٤

٢٠- مقاييس اللغة ــ ابن فارس: ٣٦٩/٥ ، وينظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم ــ المصطفوي: ٣٢٥/١٢

٢١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ــ برهان الدين ابراهيم البقاعي: ٤٢٣/٢٢

٢٢- ينظر علم العنونة ــ عبد القادر رحيم: ٣٦

٢٣- ينظر تفسير الميزان: ٤٥٨/٢٠ ، التحرير والتنوير ــ ابن عاشور: ٦٣١/٣٠ ، مجمع البيان ــ الطبرسي: ٣٨٠/١٠

٢٤- اجتهادات لغوية ــ تمام حسان: ٢٤٨

٢٥- مدخل إلى القرآن الكريم ــ محمد عابد الجابري: ٢٣٧ــ ٢٣٨

٢٦- البرهان في علوم القرآن ــ الزركشي: ٢٨

٢٧- ينظر التاريخية وآلية فهم النص القرآني ــ فلاح عبد الحسن هاشم: ٧١

٢٨- ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ــ الشيرازي: ٣٨٨/٣٠

٢٩- ينظر مقاييس اللغة: ١٨٣/٤ ، لسان العرب: ٤٩٨/٣

٣٠- بدائع الفوائد ــ ابن قيم الجوزية: ٧٠٣/١

٣١- ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٨٩/٣٠

٣٢- ينظر تحليل المعنى ــ مقاربات في علم الدلالة ــ صابر الحباشة: ١٦٣

٣٣- بدائع الفوائد: ٧٠٤/١

٣٤- ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٤٨٩/٣٠

٣٥- ينظر مصاعد النظر على مقاصد السور ــ برهان الدين البقاعي: ٣٠٩/٣

٣٦- ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٢٢/٢٢

٣٧- ينظر الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم

ـ حسام الآلوسي: ٣٥ ـ ٣٩
٣٨- ينظر التداولية عند العلماء العرب: ١٥٠
٣٩- شرح التصريح على التوضيح ـ خالد بن عبد الله الأزهري: ٢٤/٢
٤٠- ينظر المقتضب ـ المبرد: ١٤٣/٢
٤١- ينظر إحياء النحو ـ ابراهيم السامرائي: ٥٠ ، في النحو العربي نقد وتوجيه ـ مهدي المخزومي: ٧٦
٤٢- ينظر البرهان في علوم القرآن ـ الزركشي: ٢١٠
٤٣- التكوثر العقلي: ٢١٤
٤٤- ينظر أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب ـ جاسم علي جاسم: ٧١
٤٥- ينظر بدائع الفوائد: ٧٧٩/٢
٤٦- المصدر نفسه: ٧٧٩/٢
٤٧- ينظر روح المعاني: ٢٨٥/٣٠
٤٨- التوبة: ٣١
٤٩- ينظر الكشاف ـ الزمخشري: ١٢٣٠
٥٠- ينظر التصور اللغوي عند الأصوليين ـ أحمد عبد الغفار: ١١٣
٥١- ينظر التحرير والتنوير: ٦٣٣/٣٠
٥٢- ينظر استراتيجيات الخطاب: ١٩٧
٥٣- ينظر تفسير الميزان: ٤٦٩/٢٠
٥٤- ينظر استراتيجيات الخطاب: ١٦٩
٥٥- البيان والتبيين ـ الجاحظ: ٧٩/١
٥٦- ينظر علم اللغة مقدمة للقاريء العربي ـ محمود السعران: ٩٥
٥٧- ينظر دراسة الصوت اللغوي ـ أحمد مختار عمر: ١٤
٥٨- ينظر المصدر نفسه: ٤٠١
٥٩- الصوت اللغوي في القرآن الكريم ـ د. محمد حسين علي الصغير: ١٦٣
٦٠- ينظر الأصوات اللغوية ـ عبد القادر عبد الجليل: ١٤٤ ـ ١٧٣
٦١- ينظر مجمع البيان ـ ٣٨٢/١٠ ، تفسير الميزان: ٤٦٠/٢٠
٦٢- ينظر الأصوات اللغوية: ١٦٥
٦٣- ينظر المصدر نفسه: ١٤٥
٦٤- ينظر البرهان في علوم القرآن: ٥٠
٦٥- النكت في إعجاز القرآن ـ الرماني: ١٩
٦٦- ينظر الأصوات اللغوية: ٢٧٣
٦٧- الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ١٤٦
٦٨- ينظر الأصوات اللغوية: ١٤٦ ، ٢٧٣
٦٩- ينظر أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ـ د. فاضل الساقي: ٢٠٣
٧٠- النكت في إعجاز القرآن: ٢٢
٧١- ينظر شرح الشافية ـ رضي الدين الاسترابادي: ١٤٩/١
٧٢- ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٢٩/٢٢ ، التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ١٨٧/١١
٧٣- ينظر التفسير الكبير ـ الفخر الرازي: ١٩٧/٣٢
٧٤- ينظر التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٢٥/١٣
٧٥- ينظر مقاييس اللغة: ٢٢٣/٢
٧٦- بدائع الفوائد: ٧٩١/١
٧٧- ينظر التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ـ محمود عكاشة: ٨٥
٧٨- ينظر بدائع الفوائد: ٧٩٢/١
٧٩- التداولية عند العلماء العرب: ١٩٢

المصادر:

- أبحاث في علم اللغة النصي وتحليل الخطاب، د. جاسم علي جاسم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٨ م.
- اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٩٢م.
- استراتيجيات الخطاب ـــ مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
- الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، عمان، ط٢، ١٤٣٥هـ ـــ ٢٠١٤م.
- أصول الفقه، محمد رضا المظفر (١٣٨٣هـ)، تحقيق: الشيخ رحمة الله الأراكي، قم، إيران، ط٧، ١٤٣٤هـ.
- إعلام الموقعين عن ربّ العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية (٧٥١هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٧٧م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ ـــ ٢٠١٣م.
- بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية (٧٤١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، د.ت.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(٧٤٥ـــ ٧٩٤هـ)، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، د.ط، ١٤٢٧هـ ـــ ٢٠٠٦م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٧، ١٤١٨هـ ـــ ١٩٩٨م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، ١٩٨٤م.
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفوي، مكتبة لسان العرب، طهران، إيران، ط١، ١٣٩٣هـ.ق.
- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ ـــ ٢٠٠٥م.
- تحليل المعنى ـــ مقاربات في علم الدلالة، صابر الحباشة، دار الحامد، عمان، ط١، ٢٠١١م.
- التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيرون، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م .
- التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، د. السيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، د.ط، ١٩٩م.
- التفسير الكبير، محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر (٥٤٤ـــ ٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠١هـ

ـــ ١٩٩٢٢م.

• تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ـــ٥٣٨ه)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢٠٠٩،٣م.

• دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٤١٨ه ـــ١٩٩٧م.

• روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (١٢٧٠ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

• الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، د. حسام الدين الآلوسي، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٠ه ـــ١٩٨٠م.

• شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، تحقيق: لجنة من العلماء، منشورات ناصر خسرو، طهران، إيران، د.ت.

• شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (٦٨٤ه)، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ه ـــ ١٩٨٢م.

• الصحاح ـــ تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩ه ـــ ١٩٧٩م.

• الصوت اللغوي في القرآن الكريم، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠ه ـــ ٢٠٠٠م.

• علم العنونة، عبد القادر رحيم، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط١، ٢٠١٠م.

• علم اللغة ـــ مقدمة للقارىء العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.

• العنوان في الأدب العربي ـــ النشأة والتطور، محمد عويس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٤م.

• الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (٣٩٥ه)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلوم والثقافة، القاهرة، مصر، د.ط، ١٤١٨ه ـــ ١٩٩٧م.

• فقه الفلسفة، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

• في النحو العربي ـــ نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.

• الفينومينولوجيا عند هوسرل، سماح رافع محمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ١٩٩١م.

• لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت .

• اللسان والميزان (التكوثر العقلي)، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٨م .

• مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الاسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار العلوم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ه ـــ ٢٠٠٥م.

• مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد

عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

• مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم البقاعي (٨٨٥هـ)، تحقيق: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٧م.

• مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م.

• المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للمنشورات الاسلامية، القاهرة، مصر، ط٣، ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٤م.

• موسوعة الفقه الإسلامي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم، إيران، ط١، ١٤٢٨هـ ـــ ٢٠٠٧م.

• موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

• الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـــ ١٩٧٩م.

• نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم البقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.

• النكت في إعجاز القرآن الكريم، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ)، تحقيق: د. عبد العليم، مكتبة الجامعة المليّة الإسلامية، دهلي، ١٩٣٤م.

البحوث المنشورة

• التاريخية وآلية فهم النص القرآني، د. فلاح عبد الحسن هاشم، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الانسانية، العدد٤، المجلد٤٤، ٢٠١٩م.

• سيميائية العنوان في سورة الاخلاص، د. خالد كاظم حميدي، مجلة المصباح، العدد١٣، ٢٠١٣م.